وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المرحلة : الدكتوراه
المادة : الفكر الإسلامي
محاضرة : الحرية في المنظور الاسلامي

الحـريـــة

محاضرة للأستاذ الدكتور : محمد هادي شهاب

المطلب الأول : تعريف الحرية .

أولاً : الحرية لغةً .

كلمة مشتقة من حُر ، وهو نقيض العبد .

وحررت القوم : أطلقتهم وأعتقتهم عن أسر العبودية .

قال ابن منظور : (الاحرار من الناس أخيارهم وأفاضلهم ، وأحرار العرب : أشرافهم ، والحرة الكريمة من النساء) ([1])

ثانياً : الحرية اصطلاحاً .

هي إمكانية الانسان في إظهار ما يعتقد ، فضلاً عن إمكانية الاختيار دون تأثيرات جانبية .

([1]) لسان العرب ، محمد بن مكرم الافريقي المصري ، ت٧١١هـ ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، د.ت / ٤: ١٨٢

قال الجرجاني : (الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار وهي على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم من إرادة الحق وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار .) ([٢])

والحر : من يصدر منه الفعل مع الارادة للفعل على سبيل الاختيار على العلم بالمراد ([٣])

اخيرا نقول : إن الإسلام بمنهجه الحيادي ، رفع من شأن الحرية عن طريق المساواة في كل المجالات ، وإعطاء كل فرد مساحة من التعبير تناسب كل متطلباته وفقاً للشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني : الحرية في الفكر الانساني والديني .

يرى الكثير من الباحثين أن انطلاق مصطلح الحرية نشأ بسبب الحاجة إليها في إمكانية ابداء أي رأي دون آخر ، فضلاً عن التحرر من قيود التبعية التي كبَّلت ارادة العبد وحرمته من ممارسة حريته ، لتكون الحرية رداً طبيعيا على كل من يسلب هذه الحقوق عن افراد المجتمع المسلم .

لقد (جاءت كلمة الحرية عبر العصور في سائر الأزمنة في صور متعددة وأشكال متنوعة ، وبمعاني مختلفة ، ففي العصر الهوميروسي ـ الأغريقي ـ أي القرن الحادي عشر ، والعاشر ق.م ، يُطلق لفظ حر على الانسان الذي يعيش بين شعبه وعلى أرضه ووطنه دون أن يخضع لسيطرة أحدٍ عليه ، أما في العصر التالي للعصر الأغريقي فقد صارت الكلمة من لغة ـ المدينة ـ فالمدينة حُرة ، ومن يعش فيها فهو حر ، حيث يسود قانون يوفق بين القوة وبين الحقّ كالمقابل للحُرّ ، حينئذٍ ليس العبد بل الغريب أو الأجنبي ، أي مَن ليس يونانياً ، والآلهة هي التي قررت الحرية ولهذا كانت الحرية موضوعات للعبادة

([٢])التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ / ١١٦.

([٣])النظام السياسي في الاسلام ، نعمان عبد الرزاق السامرائي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٧٥ .

من جهة ثانية وجد الى جانب فكرة الحرية المدنية معنى تدل عليه كلمة مختار : هو من يجعل قانون العالم الإلهي قانونه) ([٤])

ولقد عبرت الشرائع المنزلة عن مفهوم الحرية بشكل صريح عن طريق نصوصها المقدسة ، بأن الانسان حرٌّ في التعبير عن رايه ، ولا يمكن إكراهه على أي أمر من أمور اعتقاده وإيمانه .

فعلى سبيل المثال يحرف اليهود دين الله تعالى وكتابه ، وينسبون الى التوراة نصوصا تقطع بأنهم أعلى من غيرهم ، وأن لا حرية لمن دونهم في البشر ، فهم شعب الله المختار بزعمهم ، وغيرهم ليسوا سوى عبيداً ضعفاء محتقرين يسومونهم سوء العذاب بلا رحمة او شفقة ، ويذيقونهم انواع العقاب بكل ما استطاعوا من قوة ومع ذلك ينادون بالحرية .

ففي شريعة العهد القديم أباحوا الاسترقاق ، واستعملوا الحروب لقطع النسل البشري وابادة الرجال في جميع القرى التي يدخلها اليهود ، يدخلوها بحد السيف ، ولم تكن هنالك دعوة الى فضيلة أو رحمة بإنسان أو شفقة بأي كائن أمامهم([٥])

وهو ما أرخوه في كتبهم ، وما جاء في توراتهم المزعومة : (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فان اجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء و الاطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا) ([٦])

([٤])موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي / ٤٥٨ .

([٥]) فلسفة الحرية بين التأصيل والتجديد ، أ.د. محمد هادي شهاب ، دار غيداء ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٧م./ ٢٩ .

([٦]) سفر التثنية ، طبعة ليدن ، دار صادر ، بيروت ، الفقرة / ٢٠ : ١٠ ـ ١٧ .

وما زال اليهود يمارسون تهكمهم بمن هو دونهم ، حتى شرعنوا لأنفسهم حرية ترك المثل والقيم من أجل إسقاط النظام القيمي والأخلاقي لباقي الشعوب .

ومن أجل الوصول الى ما يبتغيه اليهود من حكم العالم كله ، فإنهم يلزمون أتباعهم المأجورين من حكام العالم ، بتضليل عامة الناس عن طريق ابداء الوعود الكثيرة التي لا يلاحظ الناس عدم الوفاء بها ، فضلاً عن وقوع افراد المجتمع في حيرة وضياع جراء الآراء المتضاربة والمواقف السياسية المتناقضة مما يسيطر على الراي العام ويوصله الى العجز عن ابداء رأيه العام ، ويوصله الى العجز عن إبداء رأيه في مسائل السياسة والحكم ، ومن هنا تكون حرية الشعب تافهة ، إذ لا تعبر عن إصلاح حقيقي للبلاد ، وبالتالي : سهولة توجيه الشعب واقناعه بالخنوع ، والسيطرة عليه ليصل اليهود الى إقامة حكومتهم العالمية التي ينشدون من خلالها إقامة دولتهم المزعومة لحكم العالم كله .

في حين ترتبط الحرية في المسيحية بالتنصير ، حيث تكوين صورة لا ثاني لها ، وهي أن المسيحية هي الديانة الأم ، وعلى الناس التوبة ، والعودة إلى اعتناقها .

ذلك أن للمسيح عليه السلام حق على الناس جميعاً بزعمهم ، فقد حمل الخطايا بدلاً عنهم ، وكأنهم يشترطون على أفراد المجتمع العودة الى النصرانية حصراً .

يقول القس منسي يوحنا :

(ان المسيحية هي ديانة الفرصة الثانية أي التوبة، ليس المهم التفكير بخطأ قد حصل بل المهم هو تقويم الحياة والمضي قُدُماً نحو المستقبل، ليس النظر إلى الوراء كما الشعب العبراني بل السير إلى الأمام بقدرة النعمة في الإنسان الذي تنقّى وتطّهر من الخطيئة وتحرّر من عبوديتها بواسطة فعل النعمة والإيمان فقال لها يسوع: اذهبي ولا تعودي بعد الآن إلى الخطيئة) ([٧])

([٧]) تاريخ انتشار الديانة المسيحية ، القس منسي يوحنا ، راعي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بملوي ، ترجمة : وهبة يونس ، ط١ ، ملوي / ١٧ ـ ٧٢ .

ولهذا نجد مفكري النصارى يصرون على أن الإنجيل جاء ليحرر العباد ، وأنه رسالة الحرية التي يبتغيها البشر ، غير أنهم يشيرون إلى : (ان الحرية الانسانية التي جرحتها الخطيئة لا تستطيع أن تسير نحو الله كليّاً وبطريقة فعلية إلا بمعونة النعمة الإلهية) ([٨]) فالحرية في هذا الاطار متعلقة بالخالق العظيم الذي جاء بالسلام الأبدي الى جميع الكائنات ، فالقيم : (الكرامة الانسانية والاتحاد الاخوي والحرية ، التي تمثل ثمرة الجهود المنسجمة مع مشيئة الله نجدها منضحة من كل وصمة ، ومضيئة ومتجلية عندما يُسَلِّم المسيح الأب الملكوت الأبدي الشامل)([٩])

أما في إطار الفهم الاسلامي للحرية فإن منهج القرآن الكريم ، قام على أساس ارتباط المؤمن بمجتمعه ، مع منحه القدرة على ابداء طروحاته ومقترحاته ، وإخراج نتاج أفكاره الى المجتمع ، وهو ما أصّلَ لحقوق الانسان ، وجعل للناس منظومة من الحقوق والواجبات ، يعمل بموجبها كل فرد .

وهذا يؤكد أن النظرة التاريخية للحرية في ضوء الفكر الاسلامي غير قائمة على التاريخ الفلسفي الذي يؤمن بالتحرر من كل القيود ، وهو ما يؤمن به المجتمع الأوربي بنظرة فلسفية مطلقة يمثله التيار الليبرالي الذي يُلغي كل القيود التي من شأنها منع الحرية .

بعكس الاسلام كما أسلفنا حيث يؤمن بتحرر الذات البشرية ، ولكن التحرر يبدأ من عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وجَعل الاسلام حرية الايمان طوعية لدى كل فرد دون اكراه ، مما يُحسب للحرية الاسلامية أنها كفلت حق الجميع بالمساواة في الخطاب والحكم .

([٨]) مجمع العقيدة الايمان ، رسالة الى أساقفة الكنيسة الكاثوليكية ، نشرت بعناية المجمع المقدس للكنائس الشرقية ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م / ١٢ .

([٩]) فرح ورجاء ، بولس / جـ ١٧ : الفقرة ٢ .

المطلب الثالث : الحرية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأهل العلم .

أولاً : الحرية في القرآن الكريم .

وردت لفظة الحرية في القرآن الكريم بعدّة دلالات وإشارات تؤكد عدم إكراه الآخرين على الإيمان .

قال تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ (١٠)

(والإكراه الحمل على فعل مكروه ، فالهمزة فيه للجعل ، أي جعله ذا كراهية ، ولا يكون ذلك إلاّ بتخويف وقوع ما هو أشدّ كراهية من الفعل المدعو إليه)(١١)

---

(١٠) سورة البقرة ، الآية : (٢٥٦)

(١١)التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ١٩٩٧م . / ٣ :٢٥

هذه الآية المباركة حددت مسار الحرية حسب قيمة الفعل والنية في اتيانه ، فهل على المرء أن يكره على طاعة يؤديها تكاسلا ، أو يؤديها وهو غير مقتنع بها ، فالعمل المقبول شرعا ما قام على اختيار الانسان بكامل حريته ليضمن قبول هذا العمل خالصا . والسبب الذي منح الحرية في هذا ، هو ان الله تعالى لا يرتضي لعبده أن يدعي الايمان به وهو غير مقتنع لأنه سبحانه وتعالى غني عنا ، وليس له حاجة بنا . ([١٢])

تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾ ([١٣])

(أَمَا وَاللَّهِ لَوِ اسْتَطَاعَ نَبِيُّ اللَّهِ لَأَلْزَمَهَا قَوْمَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ تِلْكَ، وَلَمْ يُمَلَكْهُ) ([١٤])

لأن الله تبارك وتعالى لم يلزم احداً من الناس على الايمان ، فالحرية التي منحها الله تعالى للناس كفيلة بالقناعة التامة ليؤمن من يؤمن على بينة ويزيغ من يزيغ ، فلا يلزم احدا وهو كاره لا يريد الايمان . ولكن من لا يقبل الايمان في الدنيا لن يقبله الله في الآخرة .

(فلا يصح قبولكم لها مع الكراهية) ([١٥])

([١٢]) ينظر : فلسفة الحرية ، د.محمد هادي شهاب / ٣٧ .

([١٣])سورة هود : الآية (٢٨) .

([١٤])تفسير ابن أبي حاتم / ٦ : ٢٠٢٣ .

([١٥])تفسير العز بن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء ، ت ٦٦٠هـ ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م / ٢ : ٨٧ .